



أرنوب يزور الحمير

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سعيد



الناشر
المؤسسة القومية للخدمة
الكتاب والنشر
القاهرة - مصر
1997

كَانَ النِّعَمُ دُرُوشُنْ رَجُلًا فَقِيرًا بَائِسًا ، وَبِرْغَمِ أَنَّهُ كَانَ يَغْمَلُ
حَمَارًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْتَلِكُ حِمَارًا وَاحِدًا ، لَكِنَّهُ اسْتَأْجَرَ ثَلَاثَةَ
حَمِيرٍ مِنْ تَعْلُوبِ الْجَشَعِ . لِيَنْقُلَ أَحْمَالَ النَّاسِ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى
الْمَدِينَةِ تَطِيرُ نَصَفَ الدَّخْلِ الَّذِي يَحْصِلُ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ الشَّاقِّ ،
بَيْنَمَا يَتَكَلَّفُ بِإِطْعَامِ الْحَمِيرِ وَرِعَائَتِهَا .. وَلِذَلِكَ كَانَ دُرُوشُنْ
يُحَافِظُ عَلَى الْحَمِيرِ الثَّلَاثَةِ ، حَتَّى لَا يُصِيبَهَا مَكْرُودٌ ، فَيُطَالِيَهُ
تَعْلُوبٌ بِثَمَنِهَا ..



وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ دُرُوشٌ يَسِيرُ خَلْفَ الْحَمِيرِ الْمَحْمَلَةِ بِالْحَطَبِ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ عِنْدَ نَقْطَةٍ فِي الطَّرِيقِ بِمُسْتَنْقَعٍ
مَوْحِلٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ دُرُوشٌ سَارِدًا فِي أَفْكَارِهِ غَافِلَةً الْحَمِيرُ ،
وَعَاصَتْ بِأَحْمَالِهَا فِي الْمُسْتَنْقَعِ ..



تَنَبَّهَ دُرُوشٌ مِنْ سُرُودِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَىْ أَثَرٍ لِلْحَمِيرِ ،
وَلَا لِلْأَحْمَالِ ، وَوَجَدَ بَدَلًا مِنْهَا سِتَّ أَذَانٍ
طَوِيلَةٍ تَطْفُو فَوْقَ الْمِيَاهِ ، هِيَ كُلُّ مَا تَبْقَى
مِنَ الْحَمِيرِ الْغَاصَّةِ فِي الْوَحْلِ ..



وقف درويش يَدْبُ حَظَّهُ ، وَ يَفْكَرُ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي
حَلَّتْ بِهِ .. مَاذَا سَيَقُولُ لِمَعْلُوبٍ ، وَكَيْفَ سَيَدْفَعُ لَهُ ثَمَنَ
الْخَمِيرِ الْغَارِقَةِ ، وَهُوَ يَحْصِلُ عَلَى قُوَّةٍ وَقُوَّةٍ أُسْرَتِهِ بِصُعُوبَةٍ ؟
وَحَلَّ الْغُرُوبُ ، فَانْهَارَ الْمَسْكِينُ وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ
لَا يَذَرِي كَيْفَ يَتَصَرَّفُ لِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ ، فَأَخَذَ
يَدْعُو أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ لِيَفَارِقَ هَذِهِ الْحَيَاةَ ..



وبينما هو على هذه الحال سمع وقع حوافر حصان
تدبُّ على الأرض ، أعقبها سماع صوت يناديه قائلاً :
- ماذا بك يا رجل ، ولماذا تجلس هكذا حزيناً ؟
تلقت درويشُ خلفه ، فرأى فارساً فوق حواده ، ولم يكن
هذا الفارسُ سوى أرثوب نفسه ، فقصَّ عليه ما حدث له من
غرق الحمير في المستنقع ، وخوفه من العودة إلى القرية ،
حتى لا يطالبه تغلوبُ بضمن الحمير ..



نَظَرَ ارْتُوبُ إِلَى اِذَانِ الْحَمِيرِ الطَّافِيَةِ فَوْقَ الْمِيَاهِ ، وَفَكَرَ
قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- ابْشِرْ يَا رَجُلُ .. لَقَدْ تَحَوَّلَتْ مُصِيبَتُكَ إِلَى مُصْدَرِ سَعَادَةٍ
وَتَرَاءُكَ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ دُرُوشٌ مُتَعَجِّبًا : كَيْفَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَسَدَدُ
لِتَغْلُوبِ ثَمَنَ حَمِيرِهِ الْغَارِقَةِ ..



فقال أرثوب : سوف تجنى ثروة طائلة من هذه الحمير
العارقة ولن تكون في حاجة إلى استئجار الحمير من
تغلوب بعد اليوم ..

وبرغم أن درويشاً لم يفهم شيئاً ، إلا أنه بدأ يشغُر
بالتفاؤل من كلام أرثوب ..

ولما رآه أرثوب كذلك قال له :

- خذ هذا الجوال ، وادّهب إلى أقرب مكان توجد فيه

أشجار الخروع ، واجمع أكبر كمية

من بذور الخروع ..



فأطاعة درويشٌ وحمل الجوال متوجّهاً إلى منطقة
تنمو فيها أشجار الخروع بقرارة ، وبدا في جمع الثمار
الجافة ، حتّى ملأ الجوال ، ثم حملة عائداً إلى أرثوب ،
فباتا ليلتهما بجوار الفستق ..
وفي الصباح ، قال له أرثوب : اركب حصاني عائداً
إلى بيتك ، واحمل هذا الجوال معك ، وإياك أن تُضيّعه ،
فإني لن تقطع نصف الطريق ، حتّى تتحوّل بدور
الخروع إلى نقود ..



فَنَظَرَ إِلَيْهِ دُرُوبِشٌ مُنْهَشًا : لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا ..
فَقَالَ لَهُ أَرْنُوبُ : إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، فَخُذْ
حِصَانِي ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَسِيرَ عَلَى مَهْلٍ ..
وَبِرْغَمِ أَنْ دُرُوبِشًا لَمْ يَكُنْ مُقْنِنًا تَعَامًا بِمَا قَالَهُ لَهُ
أَرْنُوبُ ، إِلَّا أَنَّهُ اطَّاعَهُ ، فَإِذَا لَمْ تَنَحْوِلْ بِذَوْرُ الْخَرْوَعِ إِلَى
بُقُودٍ ، فَهُوَ عَلَى الْأَقْلِ سِيرْبِخُ جَوَادًا يُعَوِّضُهُ عَنْ
الْحَمِيرِ الْغَارِقَةِ ..



أما أرثوب فقد تربع عند حافة المُسْتَنقِع مُنْتَظِرًا قُدُومَ
شَخْصٍ مَا ..

ولم يَحصُ وقتٌ طَوِيلٌ ، حتَّى ظَهرَ تَغْلُوبَ رَاكِبًا حِصَانَهُ ،
وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَلَمَّا رَأَى أَرْتُوبًا جَالِسًا عِنْدَ
حَافَةِ المُسْتَنقِعِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ ، وَحَيَاةٍ سَاخِرَا :
إِيهَ يَا أَرْتُوبَ .. لِمَاذَا تَجْلِسُ هَكَذَا عِنْدَ حَافَةِ المُسْتَنقِعِ

كَالْأَحْمَقِ ١٩



فقال أرثوب :

- الأحق هو الذي ببطر فلا يرى ، وإذا رأى فإنه لا يعهم .

هـن عرفت من يكون فبدأ الأحق يا معلوب

فرد عليه معلوب

- لا داعي للف والدوران . سألتك لماذا تجلس هكذا :

فقال أرثوب :

- أنا جالس هنا لكني أحرص زرعى



فقال تغلوب مدتهشة .

- وائ شىء زرعت فى هذا المسينقع .

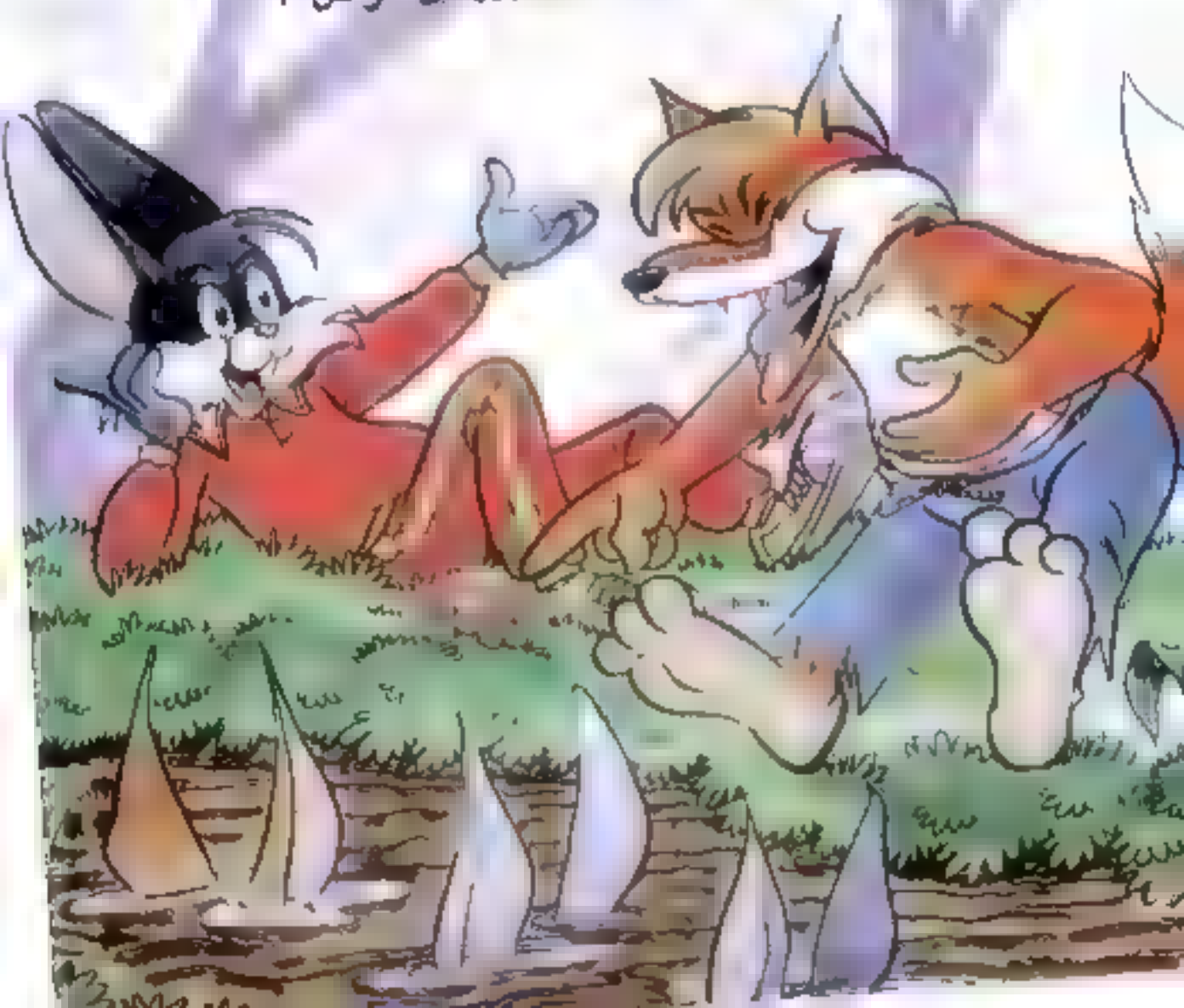
فقال ارثوب

- انظر وسوف ترى بنفسك

فاحال تغلوب بصرة فوق مياه المسينقع . ثم اعجز

ضاحكا وقال

- انا لا ارى سوى اذان حمير تبرز من الوحل .



فَقَالَ ارْتُوبُ : اِذَا اُنُ الْحَمِيرِ هِيَ التَّبْتُ الَّذِي خَرَجَ مِمَّا
زُرْعَتُهُ ..

فَصَاحَ تَعْلُوبُ مُتَعَجِّبًا : هَلْ هَذَا صَحِيحٌ ؟

فَقَالَ ارْتُوبُ : بِالْأَمْسِ فَقَطْ بَذَرْتُ بَذُورَ الْحَمِيرِ ، وَهِيَ هِيَ ذِي
الْيَوْمِ قَدْ نَبَتَتْ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبُ مُتَشَكِّكًا : لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ زِرَاعَةِ
الْأَشْجَارِ وَالْحَبُوبِ ، لَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ بِزِرَاعَةِ الْحَمِيرِ ..

فَقَالَ ارْتُوبُ : مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَغْرِفَ الْمَرْءُ كُلَّ شَيْءٍ
فِي الْحَيَاةِ ، أَنَا أَيْضًا كُنْتُ مِثْلَكَ حَتَّى الْأَمْسِ ..



فَقَالَ لَهُ تَعْلُوبُ : وَمَنْ آتَى حَصَلْتَ عَلَى بَذُورِ الْحَمِيرِ ؟
فَقَالَ ارْتُوبُ : اشْتَرَيْتُهَا مِنْ شَخْصٍ آتَى بِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ ،
كَانَ يَحْمِلُ جِوَالًا مَلِيًّا بِبَذُورِ الْحَمِيرِ ، لَكِنْ لِلْأَسَفِ لَمْ تَكُنْ
مَعِيَ نَقُودٌ كَافِيَةٌ لِاشْتِرَائِي مِثْلَ بَقِيَّةِ الْجِوَالِ .. بَعْدَ أَيَّامٍ
سَوْفَ يُصْنَعُ لَدَى قَطِيعٍ مِنَ الْحَمِيرِ ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ : وَكَيْفَ أَغْتَرُّ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ ؟
فَقَالَ ارْتُوبُ : إِنْ اسْتَمَعْتَ نَرُويشَ ، وَهَذَا كَانَ هُنَا مِنْذُ قَلِيلٍ
وَمَضَى عَلَى حَصَانِهِ ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ سَعِيدًا : دُرُوشُ الْحَمَارُ ١٥ : لَدَيْهِ حِصَانٌ ١٦
 فَقَالَ ارْتُوبُ : : لَقَدْ اغْتَنَى مِنْ بَيْعِ بُذُورِ الْحَمِيرِ ..
 فَقَالَ تَعْلُوبُ : سَوْفَ الْحَقُّ بِهِ وَاشْتَرَى كُلَّ مَا مَعَهُ مِنْ
 بُذُورِ الْحَمِيرِ . مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ الَّذِي يُطْلَبُ ..
 وَانْطَلَقَ تَعْلُوبُ فَوْقَ حِصَانِهِ حَتَّى لَحِقَ بِدُرُوشِ ، فَلَمَّا
 رَأَهُ دُرُوشُ خَافَ مِنْهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ جَاءَ يُطَالِبُهُ
 بِثَمَنِ حَمِيرِهِ الْغَارِقَةِ .. لَكِنْ تَعْلُوبًا طَمَآنَةً إِلَى
 أَنَّهُ جَاءَ يَشْتَرِي مِنْهُ بُذُورَ الْحَمِيرِ
 بِثَمَنِ يَاسِظٍ ..



اشترى ثعلوب الجوال المليء ببذور الخروع ، وبدأ في
زراعتها ، كما غلّمة أرثوب ، ثم جلس ينتظر خروج
النباتات من الأرض ، وبروز آذان الحمير ، لكن شيئاً من
ذلك لم يحدث أبداً ، ونجحت خدعة أرثوب ، فأصبح
ترويش رجلاً ثرياً واستراح من العمل كلَّما
واستجار الحمير من ثعلوب الجشع .

(تمت)

